تحولات الرواية التاريخية عند محمد فريد ابي حديد

The Historical Novel Changes According to Abu Hadid Muhammad Fareed

Nadia Bibi
MPhil Scholar, Arabic Department
Allama Iqbal Open University, Islamabad
Email: nadiahassan55000@gmail.com
Dr. Hafiz Haris Saleem
Lecturer Arabic Department
Allama Iqbal Open University, Islamabad
Email: haris.saleem@aiou.edu.pk

Abstract

The novel has a very great importance on the Arab and international levels. It is a modern literary art that came to our Arab world at the beginning of the nineteenth century from Europe. Our writers admired it and produced many novels that clearly expressed the Arab reality and also demonstrated the extent of Arab writers' creativity in creating images. This study discussed the changes of the historical novel in Arabic literature, in form and content, according to Muhammad Farid Abu Hadid, who is considered one of the pioneers of writing historical novels in Egypt and the Arab world. Abu Hadid contributed significantly to the development of this novel art under his guidance and in particular, and these changings were represented in his good selection and use of topics. The novelist who revealed his strong feeling and high sense of belonging to his nation, he worked to revive Arab history and heritage and produced a group of historical novels, most of which revolve around ancient Arab life in the pre-Islamic era, and they are significant transformations in this early period, such as Abu Hadid, an example of the mediation between the historical novel. Traditionalism and the historical novel with a realistic orientation. Perhaps this was one of the biggest transformations that occurred in the historical novel in the period that followed Jeorgi Zydaan.This study reached a number of results, the most important of which is the statement of the connection between the development of the historical novel and the social, intellectual, and political conditions.

المقدمة :

الحمد لله الذي علم بالقلم، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم ،وبعد....

فن الرواية نوع من أنواع الأدب، يتميز عن غيره بالخيال المكتوب بلغةٍ نثرية وبطابعٍ سردي، إنما هو أحد الفنون الأدبية الجميلة وأحد الفنون النثرية الحديثة الذي ظهر في نهاية القرن التاسع عشر من أوربا بفضل الجهود التي بذلها أدباءالعرب وذاع و تعددت أنواعه وانتشر حتى أصبح عصرنا عصر الرواية بلا خلاف-

العلاقة بين الرواية والتاريخ علاقة قوية منذ نشأة الرواية كفن أدبي، إذ يعتبرالتاريخ من الروافد الأساسية التي استعان الكتاب بها في إنتاج عدد من الروايات التاريخية.

لاقت الرواية التاريخية رواجاً كبيرا منذ نشأتها في الوطن العربي، ونالت الكثير من

إعجاب القراء ، لما تحمله من روح الفخر بالماضي العربي العريق والحنين إ ليه .

تحوَّل فن الرواية على يد العديد من رُوَّاده إلى لون أدبي إبداعي . وقد ظهرت الرواية في العالم العربي في القرن التاسع عشر بفضل الجهود التي بذلها الأدباء العرب لتعريب هذا الفن وتقديمه للجمهور، فأصبح لدينا خلال سنواتٍ قليلة روايةٌ عربية ناضجة تُنافس الروايات العالمية وتُترجَم إلى لغات مختلفة.

لقد حاولت هذه الدراسة عن المقصود بالرواية التاريخية وأهميتها وكيف نشأت الرواية التاريخية و أهدافها ودوافعها و ما هي الموضوعات التي تتناولها الرواية التاريخية و ناقشت هذه الدراسة تحولات الرواية التاريخية في الأدب العربي شكلا ومضموناً عند محمد فريد أبو حديد وهو يعد أحد رواد كتابة الرواية التاريخية في مصر والعالم العربي، ساهم بشكل ملحوظ في تطور هذا الفن الروائي بتوجيه وجهة خاصة. وأنتج أبو حديد مجموعة من الروايات التاريخية يدور معظمها حول الحياة العربية القديمة في العصر الجاهلى مثل رواية"زنوبيا"و "الملك الضليل" و"المهلهل سيد ربيعة" و"أبو الفوارس عنترة" و"الوعاء المرمري". ويمكن رصد هذه التحولات في نقاط محددة هي:(الانتقال من التاريخية التقليدية إلى التاريخية الواقعية، والعناية بالبعد الوطني والقومي، إضافة إلى البعد المأساوي) وهي تحولات ذات مغزى في هذه الفترة المبكرة.مثل أبوحديد نموذجا للوسيطة بين الرواية التاريخية التقليدية والرواية التاريخية ذات الاتجاه الواقعي، ولعل ذلك كان من أكبر التحولات التي طرأت على الرواية التاريخية في الفترة التي تلت جورجي زيدان وقد اعتمد الباحث على التحليل النقدي والتحولات لعدد من الروايات التاريخية عند محمد فريد أبو حديد ويتضح هذا البحث التحولات الموضوعية والتحولات الفنية خاصة.ويشتمل التحولات الفنية على اللغة وأساليب السرد والشخصيات والمكان والزمان.

الرواية وعناصرها:

جاء في معجم المصطلحات أن الرواية: "نص نثري تخيمي سردي واقعي غالباً، يدور حول شخصيات متورطة في حدث مهم، وهي تمثل للحياة والتجربة واكتساب المعرفة" (١). و يعرف الخطابيُ الروائي بأنه : "بنية لغوية دالة، وهو تشكيل لغوي سردي دال،يصوغ عالما موحدا خاصا، تتنوع وتتعدد وتختلف في داخل اللغات والأساليب والأحداث والأشخاص والأصوات والعلاقات والأمكنة والأزمنة، دون أف يقضي

هذا التنوع والتعدد والاختلاف بخصوصية هذا العالم ووحدته الدالة(٢)

وقد ذكر الكثير من النقاد أنه لا يوجد تعريف شامل للرواية لأنها فنٌّ أد بى قابل للتطور و الاستمرار. و تختلف الرواية بوجود عنصر الخيال عن السيرة الذاتية ، و بالطول عن القصة القصيرة حيث أنها تقوم بتسليط الضوء على ما يحدث على أرض الواقع ويقومُ هذا الفن على قضايا أخلاقية واجتماعية لمعالجتها أو لمحاولة البحث فيها، فبعض الروايات تحثُّ على الإصلاح والتغيير، و بعضها يقدم معلومة مختلفة بها، وبعضها الآخر تكون بحِسٍّ فُكاهيٍّ فقط، لِتُرشِد القارئ لِلحقيقة من خلال العوالم والأحداث التي تبين في الرواية، حيثُ تتضمن العديد من الشخصيات كلٌّ منهاتختلف عن الأخرى بأحاسيس وانفِعالات ، والعديد من الأحداث المتداخلة والمتشابكة فيما بينها، فهذا بالضبط ما يميزها عن غيرها من الفنون الأدبيةو عناصرها هي :

الزمان والمكان :العنصر الأول هو الزمان و المكان الذين حدثت فيهما أحداث الرواية

ا لعقدة : هي التشويق والإثارة في الرواية فيبدأ عندها الصراع ثم تتطور الأحداث لتنال من حياة الشخصيات دافِعةً إياها لِإيجاد الحل.

الشخصيات: عنصر الحركة في الرواية ولها نقاط ضعف ونقاط قوة تدفعها للوصول لهدفها، وتنقسم الشخصيات إلى البطل الذي تدور حوله الأحداث، والخصم وهوالذي يكون نقيضا للبطل ،و الشخصيات الثانوية.

الحوار : هو ما يجري بين أبطال الرواية من أحاديث تُبين أحداث الرواية.

الفكرة :وهي الموضوع الذي تناقشه الرواية و تبني عليه وتوضح قيمته.

الحبكة : أحداث الرواية تتسلسل بشكل طبيعي ثم تتصاعد تدريجيا إلى أن تحل.

أنواع الرواية

:للرواية أنواعٌ عديدة؛ فمنها

الأدبية، والاجتماعية ، والسياسية والتاريخية ،والواقعية، والتأملية ، والكلاسيكية والرومانسية، والتجارية وغيرها. أما نحن فبصدد تعريف الرواية التاريخية فقط.

الرواية التاريخية:

الرواية التاريخية أحد أنواع الرواية واختلف نقاد العرب والأجانب في تعريفاتها ، غير أن جميع هذه التعريفات تتفق على أن المادة الأساسية لها هي التاريخ. كما جاء فى معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب تعريف للرواية التاريخية فهى '' سرد قصصي يدور حول حوادث تاريخية وقعت بالفعل، وفيه محاولة لاحياء فترة تاريخية بأشخاص حقيقين أو خياليين او بهمامعا (٣)

ويعرفها ألفرد شيبارد حيث يقول : " يتناول القصة التاريخية الماضي بصورة خيالية، يتمتع الروائي بقدرات واسعة يستطيع معها تجاوز حدود التاريخ، لكن على شرط ألا يستقر هناك لفترة طويلة إلا إذا كان

الخيال يمثل جزءًا من البناء الذي سيستقر في التاريخ (٤)

:ومن أهم التعريفات التي للرواية التاريخية تعريف معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة للرواية التاريخية بأنها – سرد قصصي يرتكز على وقائع تاريخية، تنسج حولها كتابات تحديثية ذات بعد إيهامي معرفي، وتنحو" الرواية التاريخية — غالباًإلى إقامة وظيفة تعليمية وتربوية (٥)

فيمكن أن نقول إن الرواية التاريخية هي التي تأخذ الأحداث و الشخصيات من التاريخ . فهي نقل لأحداث الماضي ، ولأن الرواية التاريخية تقدم أخباراً وقصصاً واقعية و تبين عن أحداث وشخصياتٍ عظيمة كان لها دورٌ كبير في التاريخ ، فلا بُدَّ أن يكون الكاتب عالماً ودقيقاً في المعلومات.

الرواية التاريخية هي نتيجة إمتزاج التاريخ بالأدب فالتاريخ هو حقائق مجرّدة لوقائع تاريخية معينة تتعلق بالحوادث أو بالشخصيات، والتاريخ المجرد عندما يدخل بنية أساسية تعتمد عليه الرواية ينقلب فى شكل جديدا بحيث يصبح عنصراً فنيّاً من عناصر الرواية، وكاتب الرواية يفسره وفقاً لمزاجه الشخصي . (٦)

أهداف الرواية التاريخية ودوافعها

اعتمدت الرواية العربية على التاريخ لتحقيق مجموعة من الغايات والأهداف، يرتبط بعضها بالروائي و بالقارئ أو يرتبط بعضها بالواقع الذي يعاني الكثير من الضغط والغلبة والقهر السياسي والاجتماعي والثقافي.

ويجب أن الروائي التاريخي لا يقتصر على إحاطة الحقائق التاريخية ونقلها إلى القارئ فقط ، فإن هذا من ،مهمة وثائق المؤرخ و سجلاته ، أما الروائي فهدفه تعليم التاريخ بأسلوب الرواية لترغيب الناس في مطالعته كما كان كذلك في مرحلة النشأة عند جورجي زيدان ومن لحق به. وكذا الروائي التاريخي يمثل امتدادا لواقعه وحاضره، وما له صلة بواقعه وبقضايا مجتمعه الراهنة، بما يعيد ذهن القارئ إلى تلك الصلة التي تشد الرواية التاريخية إلى الحاضر على الرغم من توغلها في الماضي (٧)

. ومن أهدافه أيضا من خلال النظر إلي أحداث التاريخ هو استشراف المستقبل والتفكر في نتائجها .لأخذ العبرة منها، وتجنب أخطاء السابقين

نشأة الرواية التاريخية وتطورها في الأدب العربي

تعدّدت أقوال نقاد العرب و اختلفوا حول نشأة الرواية التاريخية في الأدب العربي، وانقسموا إلي وجهات مختلفة. الغالب و الراجح منها هو أن ظهور الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث هو نتيجة للتأثر بالرواية التاريخية الغربية فإن أوّل ظهور للرواية التاريخية في الأدب الغربي كان في رواية "وايفرلي" لوالتر سكوت ، و أعمال تولستوي في الأدب الروسي، وألكسندر دوما في الرواية الفرنسية، فنقول إن الرواية العربية الحديثة لا يمكن أن تكون من التراث القصصي العربي القديم، فنستطيع أن نقول إنها دخيلة على

الأدب العربي . وقد أكد الدكتور شوقي ضيف هذا الرأي، وقال: "إنما حدث هذا التبدل الأدبي حين أخذوا يتصلون مباشرة بالآثار الأدبية الغربية ويتذوقونها، ولم يكتفوا بذلك فقد أخذوا يترجمونها، وشاركهم في هذه الترجمة عنصر عربي هاجر إلى ديارنا هو عنصر السوريين واللبنانيين، وكان هذا العنصر السوري اللبناني شديد الاتصال بالآداب الأجنبية (٨)

وكانت أول الأصوات العربية للرواية التاريخية التي ارتفعت هي لجرجي زيدان وسليم البستاني و يعقوب صروف، فصار هؤلاء يهتمون بالتاريخ مع تقديمه بأسلوب روائي وفني مشوق للقارئ ، واستمرت التطورات في الرواية التاريخية ولكل جيل كانت سماته وهفواته و زلاته التي حاول من بعده تجاوزها وتصحيح مسارها، فمرت الرواية التاريخية بتحولات تتناسب مع تحولات العصور وتقدمها

و رأي أخر هو إن الرواية التاريخية في الأدب العربي لم تكن نتيجة للتأثر بالأدب الغربي، بل هي نتيجة بسبب ما يتمتع به الأدب العربي من قصص تاريخية وسرد للتاريخ والأحداث، و أن الرواية التاريخية تطور و تغير تدريجي طبيعي عن الفن القصصي للتراث العربي القديم ،كقصة عنترة وغيرها فنشأة الرواية التاريخية ،إنها من الأدب العربي و ليس من الأدب الغربي فالعرب أفادوا من إرثهم الثقافي في القصص والتخيلات . وأضافوا إليه ما رأوه من نتاج الغرب

أعلام الرواة :

سليم البستاني :

هو روائي لبناني الأصل ،و كان أول ظهور للرواية التاريخية في الأدب العربي هو روايته " زنوبيا" التي نُشرت عام 1871م في مجلة الجنان، والفكرة الرئيسية لهذه الرواية هي الصراع الذي دار بين ملكة تدمر وبين .الرومان في القرن الثالث

ولا شك أن سليم البستاني قد تأثر بالرواية الغربية، فإن عمله مترجمة رسمية في القنصلية الأمريكية قد مكنه من الإطلاع على جوانب كثيرة من الفن القصصي في اللغة الإنجليزية، وكشف له عن تيار حديث يوجه الفن القصصي في أوروبا أو أمريكا إلا أن تأثره هذا كان في الإتجاه والشكل الخارجي فقط، ولم يتطور .ليشمل المعمار الفني للرواية الغربية

جميل نخلة المدور:

وُلِد جميل نخلة المدوَّر ببيروت عامَ ١٨٦٢م لأُسرةٍ معروفةٍ بفضلها وأدب أصحابها، وقد عاش المدوَّر معظمَ .حياته في مصر

هو أديبٌ ومؤرِّخ، اشتُهِر بتأليف كتابَيْه الشهيرين» :حضارة الإسلام في دار السلام «كتبه متأثرا بسليم البستاني

صدرت عام 1905م، وفكرتها الرئيسة عن تنقل الأمير الفارسي في البلاد أيام هارون الرشيد، ومحاولة وضع يده على مواطن الإشراف والازدهار فيها. و كتاب »تاريخ بابل وآشور«، وكان الناقد والأديب »إبراهيم اليازجي «يُصحِّح له ما يكتبه.، وكان مُولَعًا بالتنقيب في آداب العرب وتاريخ الأمم الشرقية القديمة.

فرح أنطون :

، اديب و روائى و كاتب مسرحى و صحفى لبنانى تولد فى طرابلس، لبنان ، و سافر اسكندريه ، مصر .و اصدر مجلات منها مجلة" السيدات " لأخته روز انطون

قام أولا بترجمة الكثير من الروايات التاريخية وبعد ذلك كتب رواية تاريخية بعنوان "أورشليم الجديدة" سنة 1904م، وصور فيها أحداث مدينة القدس، ولكن من وجهة نظرة مسيحية ، وذكر فيها قصة حب بين شاب مسيحي وفتاة يهودية.

يعقوب صروف:

صحفي و اديب لبنانى. إشتغل فى الكلية الأمريكية فى بيروت و انشأ مع فارس نمر مجلة "المقتطف" سنة 1876. من أشهر رواياته التاريخية "فتاة مصر" و"أمير لبنان".كانت رواياته مملوءة بالوعظ والإرشاد والتوجيه والأخلاقيات كما كان عادة الأدباء في عصره و هذا ما يجعل البناء الفني للرواية ضعيفًا لا يجذب القارئ إليها ولا يلفت انتباهه.

جرجي زيدان :

اديب و روائى و مؤرخ لبنانى تولد فى بيروت. لما كبر كان يدرس الطب لكنه تحول للصحافه و التاريخ و الادب بعد ما راح مصر و قعد فى القاهره. أصدر مجلة الهلال سنة 1893 و كتب روايات تاريخية لعب فى تنشيط حركة الأدب المصرى الحديث و في نشأة الرواية دورا كبيرا . يعد هو نقطة تحول في مسار الرواية التاريخية في الأدب العربي ، فقد تأثر كثيرًا بالروايات التاريخية الغربية، واستفاد منها في بناء رواياته، واعتمد منهجًا واضحًا في كل رواياته التاريخية، وكتب اثنتين وعشرين رواية تاريخية سمّاها روايات" تاريخ الإسلام. "وقد كانت رواياته أفضل حالا وأكثر تمسكا في الناحيتين الفنية والموضوعية، ويبدو تأثر جورجي زيدان بالرواية التاريخية عند والتر سكوت والكسندر دوماس بشكل مباشر وبلغاتهم الأصلية. إنما أراد للرواية أن تكون خادمة للتاريخ معلمة له.

أحمد شوقي :

شاعر مصري، يُعَدُّ من أعظم شعراء العربية في مختلِف العصور، بايعه الأدباء والشعراء في عصره على إمارة «الشعر فلقب بـ «أمير الشعراء.

كان مهتمًا بالرواية التاريخية إضافة إلى كونه شاعرا ،فقد كتب رواية بعنوان" لادياس الفاتنة"، وعرض فيها تاريخ الفراعنة، واعتمد فيها علي البناء البسيط والتقليدي للرواية والذي يكون قوامه قصة حب بين طرفين .ومن خلالها تُسرد الأحداث التاريخية ،

علي الجارم:

قدم على الجارم مجموعة تركت أثرًا مهما في الرواية التاريخية ، ومن هذه الروايات: فارس بني حمدان، و .هاتف من الأندلس وشاعر الملك والشاعر الطموح وغادة رشيد

محمد فريد أبوحديد :

يُمثّل أبو حديد نقطة انطلاق جديدة في الرواية التاريخية العربية، و ذلك بالإضافة إليها الطابع الوطني ،والقومي، من خلال الإفتخار بتاريخ العرب المشرف. من رواياته : الملك الضليل، والمهلهل سيد ربيعة .وزنوبيا ملكة تدمر

محمد سعيد العريان :

توجه سعيد العريان إلى تاريخ مصر، وكتب عدة روايات عن مصر وتاريخها و أمجادها و شخصياتها التاريخية، مثل: رواية شجرة الدر، وقطر الندى، وعلى باب زويلة، وكان إهتمامه البالغ بعهد الأيوبين .والمماليك في مصر

عبد الحميد جودة السحار :

إهتم عبد الحميد السحار بالتاريخ الإسلامي اهتمامًا بالغًا، فكتب السيرة النبوية في عشرين كتابًا ، وحاول .تقريبها من القصة في صياغة أحداثها، ومن رواياته التاريخية رواية أمير قرطبة

تحولات الرواية التاريخية

عند بعض نقاد العرب كما ذكرنا فيما سبق الرواية التاريخية دخيلة علي الأدب العربي من الأدب الغربي فكما كانت للرواية الغربية مراحل وتطورات ، ففي بدايات ظهورها كانت الرواية الغربية تعتمد علي الإيحاء التاريخي الذي يكتفي بتفسير التاريخ من الخارج، وبعد ذلك انتقلت إلى مرحلة التفسير المنطقي الذي يفكر بها تفكيرًا منطقيًا و يعتمد على العقل والحجج في عرض وقائع التاريخ ، ثم انتقلت إلى موضوع عميق، فجمعت الرواية بين النقل الموضوعي وبين العواطف الإنسانية، وحاولت ضمن أحداث الرواية وتفاصيلها عبر التاريخ نقل العواطف الخالدة . ولما كان الأدب العربي قد تأثر بشكل أو بآخر بالرواية التاريخية عند الغرب فلا بد أن الرواية التاريخية العربية قد مرت أيضًا بتطورات ومراحل ، إلا أن هذه المراحل تختلف عن مراحل تطور الرواية التاريخية الغربية ، وذلك بما يتناسب مع طبيعة الأحداث التاريخية ، وأسلوب

عرض الرواية وأحداثها ، والخصائص الفنية لكل كاتب التي يتميز بها عن غيره . ولا شك إنّ روائيّي العرب قد تركوا أثرًا بارزًا في الروايات التاريخية التي كتبوها، و أفادوا من الخطاب الروائي التاريخي وطوروه بما يتناسب مع خصائصهم وتاريخهم عبر العصور.

تحولات الرواية التاريخية عند محمد فريد أبو حديد

ترجمة محمد فريد أبي حد يد :

هو قاصٌّ وكاتب مصري كبير، له الكثير من المؤلَّفات التي أَثْرت المكتبة العربية. يعدُّ أبو حديد أحد رواد كتابة الرواية التاريخية في مصر والعالم العربي .

وُلد بمصر عام ١٨٩٣م . كانت بداية طفولته في «دمنهور»؛ فانتظم في السلك التعليمي هناك إلى أن حصل على الشهادة الابتدائية، وحصل على شهادة البكالوريا عام ١٩١٠م، وبعد ذلك التحق بالقسم الأدبي بمدرسة المعلمين وتخرَّج فيها عام ١٩١٤م، ثم حصل على الإجازة في الحقوق من مدرسة الحقوق الملكية عام ١٩٢٤م.

عُين أبو حديد مدرسًا بالتعليم الحر، ثم عمل مدرسًا بالمدارس الثانوية التابعة لوزارة الأوقاف، ثم انتقل للعمل بقسم المراقبة على الصحف بوزارة الداخلية، وأصبح بعد ذلك سكرتيرًا عامًّا لجامعة الإسكندرية عام ، وسرعان ما عاد إلى القاهرة ليشغل منصب وكيل دار الكتب المصرية، ثم اختير عضوًا بمَجمع اللغة العربية بالقاهرة وانشغل أيضًا منصب المدير العام لكلٍّ من إدارة الثقافة، والتعليم الثانوي، والجامعة الشعبية، وإدارة مكافحة الأمية ، ومعاهد المعثم عُين مساعدًا لوزير المعارف، ومع بلوغه سن التقاعد قرَّرت وزارة المعارف تعيينه مستشارًا فنيًّا لها.

له مؤلَّفات عديدة تزيد على الثلاثين ، منها في التاريخ » :ابنة المملوك«، و»الملك الضليل«، و»أبو الفوارس عنترة بن شداد«، و»آلام جحا .«و في فن السيرة» :سيرة السيد عمر مكرم«، و»صلاح الدين الأيوبي وعصره .«أما في مجال الترجمة فله »سهراب ورستم«، وهي مَلحمة للكاتب الإنجليزي »ماثيو أرنولد «قام بترجمتها في قالب مسرحي، و»الفتح العربي لمصر «من تأليف »ألفرد بتلر«، و»ماكبث «من تأليف »شكسبير .«وله أيضًا روايتان تناولتا الحياة المصرية المعاصرة، هما» :أنا الشعب«، و»أزهار الشوك« ،«ومسرحيات »عبد الشيطان«، و»خسرو وشيرين «التي صاغها في شعر مرسل و»مقتل سيدنا عثمان.

حصل على العديد من الجوائز ، منها :جائزة فؤاد الأول للآداب)عام ١٩٥٢م(، ووسام الاستحقاق من الطبقة الثانية)مرتين(، ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب)عام ١٩٦٤م(.

يحتل أبو حديد في جيله مكانة تشبه المكانة التي وصل إليها عبد الرحمن الشرقاوي في الجيل التالي.

و كان أبو حديد واحدا من نجوم خريجي مدرسة المعلمين العليا الذين شاركوا في الحركة الوطنية في ثورة 1919م.

تُوفِّي «أبو حديد» في ١٨ مايو عام ١٩٦٧م، خلّف وراءه إرثًا ثقافيًّا وأدبيًّا كبيرًا ، تتوارثه الأجيال لتفيدمنه.

نقاط تحولات أبي حديد في الرواية التاريخية

لقد تأثر أبو حديد في التاريخ بروايات والتر سكوت التاريخية التي أعجب بها وقرأ معظمها ، إضافة إلى تأثره العاطفي الكبير بمآسي شكسبير التاريخية، ويظهر ذلك في روايتي (الملك الضليل) و (المهلهل سيد ربيعة) حيث إن شخصية البطل فيهما ذات طبيعة تراجيدية، معناه إنه يحمل نقصاً أو عيباً في نفسه يتسبب في مأساته و يؤدي إلى سقوطه فيمابعد.

تطور أبو حديد في فن الرواية بتوجيهه وجهة خاصة وقد تمثلت هذه التحولات في حسن اختيار توظيفه للموضوعات الروائية، التي كشفت عما يتمتع به من إحساسٍ قومي وانتماء عال لأمته فقد عمل أبو حديد على إعادة إحياء التاريخ والتراث العربي، وكتب مجموعة من الروايات التاريخية التي يدور معظمها حول الحياة العربية القديمة في العصر الجاهلي. ويمكن أن نذكر هذه التحولات في نقاط محددة هي:

.الإنتقال من التاريخية التقليدية إلى التاريخية الواقعية.

،ولعل ذلك كان من أكبر التحولات التي طرأت على الرواية التاريخية في الفترةالتي تلت جورجي زيدان .والتي سنطلع عليه من خلال تحليلنا لرواية (المهلهل سيد ربيعة)

الرواية التاريخية التقليدية تعتمد على وقائع و أحداث تاريخية موثقة حدثت بالفعل في الزمن الماضى و تكون بعيدا عن التزييف أو العبث فيها

بشكل فني خيالي دون التأثير على الملامح العامة للحدث التاريخي ، والروائي التقليدي يحافظ على تراتبية . الزمن وتسلسله

قد مثَّل أبو حديد نموذجاًللوسطية بين الرواية التاريخية التقليديةوالرواية التاريخية ذات الإتجاه الواقعي ويؤكد د. جابر عصفور ذلكَ بقو ،له :

إن أبا حديد قد اهتم بالرواية اهتماماًخاصاً، لكنه ظل في المنطقة الهادئة من الفكر والإبداع، تلك المنطقة" ،التي لا تعرف الحدية في رفض القديم أو الجذرية في التجديد، فكان نموذجا للوسطية التي لا تثير العواصف ،ولا تهيج البراكين، ولا تتحول إلى زلزال، وإنما تمضي في يسر إلى هدفها الذي يكمل مهمة غيرها ."ويضيف إلى ما سبق على سبيل التراكم الكمي(٩)

استمد محمد فريد أبو حديد المادة الأساسية لرواياته التاريخية من العصر الجاهلي غالباً،حيث صور الحياة العربية في ذلك الوقت بكل أبعادها وتفاصيلها، من عادات وتقاليد، وإقامة وظعن ، وسلم وحرب، يكشف في شكل فني جميل و مشوق عن انتمائه القومي واعتزازه بتراثه العربي، يوضح فيها

عن طريق أبطاله المبادئ السامية، و القيم النبيلة، والأخلاق الرفيعة ،لتكون نموذجا يقتدي به الناس في حياتهم.

جمع أبو حديد بين الناحية الأدبية و الناحية التاريخية. لقد تطورت الرواية التاريخية بعد الحرب العالمية الأولى تطورا ملحوظا، وكان أبو حديد أول من أوفى بالرواية التاريخية على الغاية من الكمال الفني في روايته (زنوبيا) ثم بقصصه الأخرى، وهو في قصصه جميعاً يتقن البناء القصصي و ساعده على ذلك اطلاعه على الإتجاهات الحديثة في القصة والنقد القصصي الغربي، ثم تأثره بالنزعة العامة التي تسعى إلي ،إحياء التراث العربي الإسلامي إحياء حديثا وقد اتضحت هذه الجوانب فيما أنتج من آثار عن شكسبير ،وسيرة السيد عمر مكرم، وصلاح الدين وعصره ، وترجمته لكتاب فتح العرب لمصر لألفرد دبتلروتجاربه المسرحية الأولى : ميسون الغجرية ، و مذكرات المرحوم محمد. (١٠)

. أهم ما يميز روايات أبي حديد التاريخية أن شخصياتها ليست مثالية النزعة، فالشخصية الإنسانية هنا على الرغم من إسباغ أثواب البطولة عليها تأخذ صورة واقعية مقبولة . ولم تعد الشخصية خيرا مطلقا، ولا شرا مستطيرا، فقد أصبحت أكثر توازناً و واقعيةً تمثيلا لطبيعة النفس البشرية التي تميل إلى التغير والتطور حسب تغير الظروف و الأحوال ولا تستقر على حال واحد. كما في أعماق ذنوبيا تستقر فيه المرأة إلى . جانب الملكة، وكان عنتره فارسا فيه قسوة وتهورا ولصوصية أيضاً، وكذلك كان المهلهل

.و قد ظهر في أكثر من رواياته محاربة الظلم والإستبداد ، و أن طرحه ليس من قبيل الصدفة أو المتعة الأدبية أو تعليم التاريخ فقط، إنما تكون له دوافع أخرى قد ترتبط بنفس الكاتب المبدع، أو بواقعه الاجتماعي الذي يعيشه، حتى ولو لم يصرح الكاتب بذلك، فإن انتفاء أي حدث تاريخي دون الأحداث ،الأخرى بالتأكيد يحمل دلالات ذات مغزى. و حبكة الرواية وطريقة بنائها تشبه المسرحية إلى حد كبير .حيث يظهر ويغلب عنصر الصراع من بداية الرواية إلي نهايتها

. قد. تأثر أبوحديد بالمسرحية وفنها تأثراً قويا في رواياته حيث يظهر في روايته" المهلهل سيد ربيعة" عرضه ،للموضوع وتطوره، بعرض بوادر الأزمة أو المشكلة المتعلقة بالأحداث أو الشخصيات في الفصول الأولى وفي الفصول التالية يأخذ الحدث في التصاعد من خلال عنصري الزمان والمكان، ومن خلال صراعها النفسي الداخلي، وصراعها مع بقية الشخصيات ومن خلال التوظيف الفني للشخصية التي يصورها في .إطار الظروف للبيئية المحيطة بها، حتى تصل القصة إلى ذروتها وتشرف على نهايتها

.. أبرز التحولات الموضوعية عند أبي حديد الأمر الذي نفتقده عند جورجي زيدان ما تتمثل في محاولة إثارة قضايا الواقع بالتلميح إليه بحذر وبشكل غير مباشر، من خلال الحديث عن أثر الظلم ، والدعوة إلى الثورة على الظالمين المستبدين، ففى رواية "المهلهل سيد ربيعة " لا يخفي فيه الكاتب إعجابه بجساس

الذي ثار لعزة نفسه و كرامته ، وتحدي ظلم كليب جبروته ، وحرض الناس على الثورة عليه والتخلص من استعباده وذلّه. كما يظهر ذلك في الحوار الآتي الذي دار بين كليب وجساس المتعلق بناقة البسوس:

فكظم كليب غيظه، وقال متساهلا: "لقد هممت أن أقتلها، ولكن احذر أن تعود تلك الناقة إلى الرعي فـكـي مراعاي". فقال جساس وقد ضحك ساخرا : "مرعاك ! كأننا لا يحق لنا أن نرعى إبلنا في هذه الأرض! إنما هي أرض بكر كما هي أرض تغلب، ولم يورثها تلك ابوك ربيعة ".

. من أبرز التحولات عند ابي حديد سيطرة المأساة على الرواية بشكل عام ، وهذا الجو المأساوي لم نجده عند جورجي زيدان، فقد خيمت المأساة عليها من بدايتها حتى نهايتها ، حيث تتمثل الرواية لوحة .مأساوية ، ففي تلك الرواية كليب يقتل مقابل ناقة والذي يقتله هو صهره وابن عمه جساس

و ما أجمل هذا الحوار في نفس الرواية الذي يظهر شدة اليأس والحزن والألم علي فقد الأهل والأحبة. ففي :هذا الحوار

أما تتجمل بالصبر يا أبا الحارث ؟ فقال الشيخ والحسرة تغلبه : " ماذا بقي لي في الحياة يا أبا مالك) حتى أتجمل وأصبر؟ إن هما إلا يومان أقضيهما في البكاء ثم أمضي ".

فقال أبو مالك عاطفا: "لئن بكيت يا أبا الحارث لقد حق لك البكاء. ولكنا كنا نتأسى بصبرك ونتثبت بثباتك. فلسنا نملك اليوم معك إلا الرثاء لأنفسنا لما فقدنا من أسرتك ".

،فقال مرة متنهداً: "واحر قلباه! لم يبق لي أحد من ولدي.. لم يبق لي إلا هذه الفتية الصغار من أبنائهم ."الذين حكم الدهر علي أن أعيش لأراهم ولي أيتاماًضعافاً.. واحر قلباه يا همام ! واحر قلباه ياجساس ثم أخذ يبكي بكاءًمراً، وصمت جليسه ينظر إليه في حزنعميق(١١)وكأن هذا الحوار صورة تنطبق بما في نفس مرة من حزن و يأس من هذا المصير الذي وصل إليه هو و قومه .

. ، جاء أبو حديد بأسلوب لغوي قوي ومتين و جميل في الوقت نفسه، ولغة أبي حديد جميلة جذابة فكثيراً ما يوظف صوره الفنية لإبراز المعنى المراد، يختلف في ذلك عن أسلوب جورجي زيدان حيث كان يتصف بضعف التراكيب اللغوية أحياناً ،أما أبو حديد عنى عناية خاصة برونق اللغة كالركن الفني للرواية كعمل أدبي.

ومن أمثلة ذلك قوله :

يرى في كل زهرة ثغراً باسماً، وفي كل غصن رطيب قواماً مائساً".و قو"له :

وكانت المياه في هبوطها على الجوانب الصخرية تهمس في خرير رقيق يشبه وسوسة أوراق الأغصان إذا" " هزها النسيم

أحداث رواية أبي حديد تسير وتتطور بشكلها الطبيعي دون أن يفرض عليها تدخلاته. فلا يكثر من التدخل في الرواية بالتعليق على الأحداث وتفسير المواقف وتعليلها ، يختلف في ذلك عن جورجي زيدان الذي كان يكثر من التدخلات والتعليقات على الأحداث في رواياته التاريخية، وهذا الذي أسهم في ضعف البناء الفني عند زيدان. أما تدخلات الراوي عند أبي حديد فلا تبدو فجائية، بل هي طبيعية في مكانها، جميلة في عرضها. و هي ترد بشكل خفيف ومنطقي مقبول ،قد بسطت مقدماتها، واتضحت نتائجها، وبرزت معانيها الإنسانية خلال مظاهرها الفنية .

إعتمد أبو حديد في اختيار شخصيات رواياته على التاريخ الجاهلي فهو يخالف فيه أيضا زيدان الذي . اختار معظم شخصياته من التاريخ الإسلامي كما أخذ أبو حديد "المهلهل سيد ربيعة" بطل حرب البسوس، ذُكِرت سيرته في القصص الشعبية وهو شخصية خصبة من شخصيات العصر الجاهلي ويبدو تأثره بالأدب الشعبي كذلك، وتشبثه بالتاريخ الجاهلي.

ولما أنه كان للشعر مكانة عالية ومرموقة لا يمكن تجاهلها في العصرالجاهلي فإنه وظف الشعر الجاهلي . على ألسنة بعض الشخصيات وتوظيفه في الرواية يأتي ليجعلها أكثر قربا و ملائمة للعصر الجاهلي.
ويمكن أن يذكر الكاتب في روايته بعض الألفاظ الغريبة مثل: (تكاوح نفسها، لا تُراعي، احتوشتها المخاوف، قَمَرَصاحبه ..الخ ، فليس الهدف منها الغرابة، ولكن ليثير في الرواية تلك الروح العربية في ذلك العصر، وكأنه يريد أنيجعل القارئ يعيش تلك الفترة بلغتها و روحها وطبيعتها

من التحولات الفنية لأبي حديد مع شخصيات رواياته أنه لم يجعلها شخصيات ثابتة مخالفا لزيدان ، . بل كانت شخصياته نامية و متطورة غير ثابتة، فجساس طائش ومتهور ولكنه شجاع ومتمرد، و وائل (كُليب) يمتاز بالكبرياء والعظمة ولكنه حنون لطيف المعشر ملتزم بالعهود والمواثيق .

إن المرأة عندأبى حديد محافظة على الشرف والكرامة. فمن تحولاته البارزة حرصه على إبراز الدور . الإيجابي للمرأة.

جعل زيدان لشخصياته صورة نمطية واحدة من أول القصة إلي آخرها فشخصياته تابعة و مكملة . للحدث لا تؤثر فيه إلا بالقدر اليسيرولكن أبا حديد خاله في ذلك وعمل علي تحميل شخوص رواياته التاريخية ودراسة أبعاد النفسية ، والكشف عن أعماقها متأثراً في ذلك بمدرسة التحميل النفسي، وقد أعطى أبو حديد دو االستقبلث الذاتي الذي يمكنها من التعبير عن نفسها بكل حرية.

إهتم أبو حديد بالبعد المكاني، وجعل له دوراً مميزاً و مؤثراً ، وهو لا يعرض عرضا وصفيا تركيبياً، وا نما هو لون كامن وراء الصورة، يُحَسُّ بوجوده ولا يقف في طريق حركة القصة، وانما يكمن وراءها ليعطيها لونها العام " وقد تعرض لذكر الأماكن في الجاهلية مثل وادي قضة ، و واردات والقصيبات ، ونَجْدْ

كمجال لعرض الأحداث و الحروب التي دارت بين شيبان وربيعة، ولكن أهم ما يبدو من زالك هو تأثر الكاتب بالطبيعة تأثراً كبيراً ، فكثيراً ما كان "يجعل الطبيعة عنصراً فعالا في رواياته، وكأنها شخصية من الشخصيات بثقلها و تميزها".

يتقدم أبو حديد بالتكنيك الروائي خطوة كبيرة، إذ لا يعتمد على حوادث كبرى من التاريخ، وهو ما آثره زيدان كاستشهاد الحسين وفتح العرب لمصر ..الخ، وانما يختار شخصية ذات طابع ملحمي أو تراجيدي، و يحاول أن يخلصها من هذا الثوب الذي أسبغه التاريخ عليها ليرد إليها إنسانيتها وطبيعتها مع الحفاظ على تميزها البطولي.

.فقد توصلت الدراسة إلى عدد من **النتائج** تتمثل أهمها في بيان ارتباط تطور الرواية التاريخية بالظروف الاجتماعية والفكرية والسياسيةواختلافهم حول طريقة مع هذه المواد، وأى ما في الدراسة أنها أظهرت التحولات الفنية الكبيرة التي أصابت كل مشكّلات السرد الروائي من لغة وشخصيات وزمان ومكان خاصةتلك التي ترتبط بالرواية التاريخية الجديدة.

ويتضح من خلال الدراسة السابقه انه قد تطور فن القصه بين زيدان وأبي حديد من مفهوم ذاتي إلى مفهوم موضوعي .و قد أرسى أبو حديد قواعد الرواية التاريخية و تطويرها في الأدب العربي حتى وإن كانت هذه التحولات بسيطة في شكلها ولكن مضمونها يحمل الكثير من الأفكار و المبادئ.

ويمثل أبو حديد نقطة إنطلاق جديدة في الرواية التاريخية العربية من خلال الإفتخار بتاريخ العرب فقد عمل على إعادة إحياء التاريخ و التراث العربي.

و يتضح في هذا البحث أن القصة التاريخية قد اتخذت لها رسالة إنسانية عند أبي حديد وتعامل مع التاريخ تحولا بارزا لديه وإنه إلتزم بالتاريخ ولم يخرج عن نطاقه، إلا أنه اختار الروايات التاريخية الأكثر مأساوية ووظفيا في روايته. و تحولاته تحمل الكثير من الأفكار والمبادئ التاريخية..

المصادر والمراجع

معجم المصطلحات الادبية، ابراهيم فتحي ، المؤسسة العربية للناشرين المبتدئين ،نقد الرواية ص ٩٩

٢) البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة ، محمد امين عالم ، دار المستقبل العربي،القاهرة، ص٢٤

٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه و كامل المهندس ، مكتبة لبنان ،بيروت ص ١٨٤)

٤) الرواية والتاريخ ، الدكتور نضال الشمالي عالم الكتب الحديث ، اردن، ص – ١١١_١١٢)

٥) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، سعيد علوش دار الكتب اللبناني ، بيروت، ص ١٠٣)

٦) مدخل إلى الرواية التاريخية،

http://odabasha.ipower.com/show.php?sid=2373

٧) التجليات الملحمية في رواية الأجيال العربية ، مريم جبر فريحات وزارة الثقافة، ص ٥٩

٨) : الأدب العربي المعاصر في مصر ،أحمد هيكل ،القاهرة:دارالمعارف ،ط،٣ص ٦٧٠ – ٦٧١)

٩) محمد فريد ابو حديد وذكرى رائد منسي (بحث) بواسطة جابر عصفور، مجلة العربي، ص ٨٨

١٠) مقومات القصة العربية الحديثة في مصر، بحث تاريخي و تحليلي مقارن ، محمود حامد شوكت دار الفكر العربي ، مصر ،ص ١٠٤

١١) المهلهل سيد ربيعة، محمد فريد ابو حديد مؤسسه هنداوي ، القاهرة ، مصر ،ص ١٢٨– ١٢٩